الحبيب ﷺ مع النساء

حينما جاء الإسلام وأعطى للمرأة حقها وبيّن مكانتها ورفع قدرها، وقرر أنها والرجل خُلِقَا من أصل واحد؛ أكد رسول الله ﷺ ذلك المبدأ فقال ﷺ: «إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ» (رواه أبو داود). ومن هذا المنطلق حفظ ﷺ لهن حقوقهن، وأوصى الرجال بهن، وأحسن معاملتهن، ومن ذلك:

حُسْن معاملتها ابنةً وزوجةً وأختًا وأُمًّا

فكان ﷺ «إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ابْنَتُه فَاطِمَةُ قَامَ إِلَيْهَا، فَقَبَّلَهَا، وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ» (رواه الترمذي)، وكان يرحب بها عند قدومها قائلًا: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي!» ثُمَّ يجلسها عن يمينه أو شماله. (رواه البخاري).

ورأيناه ﷺ مع **زوجاته** كم كان زوجًا حنونًا رحيمًا يعطف عليهن ويرحمهن ويعاملهن معاملة كريمة ويصبر عليهن، ويكفي أنه ﷺ لم يرد في سيرته أنه ضرب بيده الشريفة الطاهرة امرأة ولا خادمًا.

ولما جاءته **أخته** – من الرضاعة – بسط لها رسول الله ﷺ رداءه، ثم قال: «سلي تُعْطَيْ، واشفَعِي تُشَفَّعِي» (رواه البيهقي)

حتى **أمه** ﷺ من رحمته وبره بها زار قبرها بعد موتها فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: «زَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ»، ثُمَّ قَالَ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي؛ فَزُورُوا الْقُبُورَ، فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ» (رواه الحاكم).

رفع محمد ﷺ العبودية عن المرأة التي فرضتها تقاليد الصحراء

وقد أحدث محمد بشخصيته الخارقة للعادة ثورة في شبه الجزيرة العربية وفي الشرق كله: فقد حطم الأصنام بيديه، وأقام دينًا يدعو إلى الله وحده، ورفع عن المرأة قيد العبودية التي فرضتها تقاليد الصحراء، ونادى بالعدالة الاجتماعية..

جيمس متشنر

كاتب ومؤلف أمريكي.

لماذا كانت معاملة النبي ﷺ لنسائه ونساء المؤمنين فيها قدر كبير من الرفق والإحسان؟ وضِّحْ ذلك من سيرته ﷺ.

www.withprophet.com

www.withprophet.com

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ امْرَأَةً لَهُ قَطُّ وَلَا خَادِمًا» (رواه أحمد).

قال النبي ﷺ: «.. فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ؛ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ..» (رواه مسلم).

وصيته ﷺ بالمرأة

أوصى النبي ﷺ بالمرأة في نصوص كثيرة متفهمًا نفسيتها وطبيعتها، فقال: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ..» (رواه البخاري).

وكان للنبي ﷺ في بعض أسفاره غلام يقال له «أنجشة»، وكان يحدو [نوع من الغناء تساق به الإبل] بأمهات المؤمنين ونسائهم، فاشتد سياقه، فقال له رسول الله ﷺ: «وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ! رُوَيْدَكَ سَوْقًا بِالْقَوَارِيرِ» (رواه البخاري) وفي لفظ: «ارْفُقْ يَا أَنْجَشَةُ وَيْحَكَ بِالْقَوَارِيرِ».

قال الإمام النووي: «ومعناه: الأمر بالرفق بهن...»، أي: ارفق في سوقك بالقوارير [شرح النووي على مسلم].

ولم يَقِفْ رسول الله ﷺ عند الإحسان إلى المرأة الكبيرة فحسب، وإنما رغَّب أيضًا في الإحسان إلى المرأة الصغيرة؛ فقال: «مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ شَيْئًا فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ؛ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ» (رواه البخاري).

مراعاته ﷺ لحقوق المرأة في التعليم

لقد أمر الرسول ﷺ بتعليم المرأة فقال: «أَيُّمَا رَجُلٍ كَانَتْ عِنْدَهُ وَلِيدَةٌ فَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، وَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، فَلَهُ أَجْرَانِ» (رواه البخاري).

يدَّعي بعض الناس أن الإسلام وضع من منزلة المرأة، ولم يعطها حقوقها، بماذا تردُّ على هؤلاء من خلال سيرته ﷺ في وصيته بالنساء وحفظه لحقوقهن؟

تخصيصه ﷺ وقتًا للمرأة لوعظها ونصحها

كان رسول الله ﷺ يخصص للنساء يومًا ليعظهُنَّ، ويذكِّرهُنَّ، ويأمرهُنَّ بطاعة الله تعالى، ومن ذلك أن يسيرة رضي الله عنها -وكانت من المهاجرات - قالت: قال لنا رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُنَّ بِالتَّسْبِيحِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّقْدِيسِ، وَاعْقِدْنَ بِالْأَنَامِلِ، فَإِنَّهُنَّ مَسْئُولَاتٌ مُسْتَنْطَقَاتٌ، وَلَا تَغْفُلْنَ فَتَنْسَيْنَ الرَّحْمَةَ» (رواه أحمد).

كان النبي ﷺ يخصص يومًا للنساء لتعليمهن ووعظهن، فما دلالة ذلك؟

www.withprophet.com

أمره ﷺ للرجال بخروج المرأة للمشاركة في فرحة العيد

وقد كان دأبه ﷺ أن تخرج المرأة لصلاة العيد وللمشاركة في فرحة العيد، حتى من لا تستطيع الصلاة أمر ﷺ بخروجها لحضور فرحة العيد، فعن أم عطية قالت: «أُمِرْنَا أَنْ نُخْرِجَ الْحُيَّضَ يَوْمَ الْعِيدَيْنِ، والْعَوَاتِقَ وَذَوَاتِ الْخُدُورِ [الْعَوَاتِق جَمْع عَاتِق وَهِيَ الْجَارِيَة الْبَالِغَة مَا لَمْ تَتَزَوَّج، وَالْخُدُورُ: الْبُيُوت]، فَيَشْهَدْنَ الْخَيْرَ، وجَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَدَعْوَتَهُمْ، وَيَعْتَزِلُ الْحُيَّضُ عَنْ مُصَلَّاهُنّ. قَالَتِ امْرَأَةٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَانَا لَيْسَ لَهَا جِلْبَابٌ. قَالَ:لِتُلْبِسْهَا صَاحِبَتُهَا مِنْ جِلْبَابِهَا»

(رواه البخاري).

حفظه ﷺ حق المرأة في اختيار الزوج

وما أن تشبَّ البنت وتصير فتاة بالغة؛ حتى يعطِيَها الرسول الحقَّ في اختيار زوجها والموافقة على الخاطب أو رفضه، ولا يجوِّز إجبارها على الاقتران برجل لا تريده، وقد قال في ذلك رسول الله ﷺ: «الأَيِّمُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا، وَالْبِكْرُ تُسْتَأْذَنُ فِي نَفْسِهَا، وَإِذْنُهَا صُمَاتُهَا» (رواه مسلم).

وقال ﷺ: «لا تُنْكَحُ الأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ. قالوا: يا رسول الله، وكيف إذنها؟ قال: أَنْ تَسْكُتَ» (رواه البخاري).

وعَنْ خَنْسَاءَ بِنْتِ خِذَامٍ الْأَنْصَارِيَّةِ: «أَنَّ أَبَاهَا زَوَّجَهَا وَهْيَ ثَيِّبٌ فَكَرِهَتْ ذَلِكَ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَرَدَّ نِكَاحَهُ» (رواه البخاري).

حفظه ﷺ حق المرأة في مفارقة زوجها

وإذا ما كرهت المرأة كزوجة من زوجها شيء، ولم تُطِق الحياة معه ألبتة، فقد سنَّ لها رسول الله ﷺ حقَّ مفارَقة الزوج، وذلك عن طريق الخُلْع.

فعن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: «جاءت امرأة ثابت بن قيس إلى النبي» فقالت: «يا رسول الله، ما أَنْقِم على ثابت في دِينٍ ولا خُلُق، إلَّا أنِّي أخاف الكُفْرَ» فقال رسول الله: «فَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ؟» فقالت: «نعم. فردَّتْ عليه حديقته، وأمره ففارقها» (رواه البخاري).

رفع محمد ﷺ قدر المرأة بفضل تشريعاته الحكيمة

«محمد رسول الله»: وبفضل تشريعاته الحكيمة أصبحت البنت البالغ تستشار قبل زواجها، وأصبح المهر لا يعطى للأب بل للعروس نفسها، وقد وصف أعداء الإسلام تلك السنة الحكيمة بأنها: «شراء للمرأة» وهم لم يسمعوا –فيما أظن– ذلك الجواب المفحم الذي يمكن أن يرد به المسلمون عليهم حينما يقولون لهم: إن المهر في بعض الأقطار الغربية يدفعه والد البنت إلى رَجُلِها!!.

اتيان دينيه
رسام وكاتب فرنسي.

www.withprophet.com

www.withprophet.com

قال رسول الله ﷺ: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ» (رواه البخاري)

حفظه ﷺ حق المرأة في الخروج إلى المسجد

وفي ذلك قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تَمْنَعُوا النِّسَاءَ حُظُوظَهُنَّ مِنَ الْمَسَاجِدِ إِذَا اسْتَأْذَنُوكُمْ» (رواه مسلم).

حرصه ﷺ على ستر المرأة

ومن حرصه ﷺ على ستر المرأة وصيانتها حتى وهي في المسجد قوله ﷺ: «خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا» (رواه مسلم).

وتروي لنا السيدة أم سلمة رضي الله عنها فتقول: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَلَّمَ قَامَ النِّسَاءُ حِينَ يَقْضِي تَسْلِيمَهُ، وَمَكَثَ يَسِيرًا قَبْلَ أَنْ يَقُومَ» (رواه البخاري).

وذلك لِكَيْ يَنْفُذَ النِّسَاءُ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُنَّ مَنِ انْصَرَفَ مِنَ الْقَوْمِ.

مراعاته ﷺ مشاعر الأمومة في المرأة

كان النبي ﷺ يراعي ظروف المرأة كأم ويُقَدِّر مشاعر الأمومة فيها حتى إنه ﷺ قال: «إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ، وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي، مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ» (متفق عليه).

حتى عند إقامة حدود الله لم يغض النبي ﷺ الطرف عن ذلك، ومن أوضح الأمثلة على ذلك قصة المرأة التي أتت النبي ﷺ وهي حبلى من الزنى، فقالت: «يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ». فَدَعَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَلِيَّهَا، فَقَالَ: «أَحْسِنْ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَعَتْ فَأْتِنِي بِهَا» فَفَعَلَ. (رواه مسلم).

حرصه ﷺ على الاستماع إلى شكوى المرأة وقضاء حوائجها

ومن ذلك ما يرويه أَنَسٌ رضي الله عنه قَالَ: «جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً. فَقَالَ لَهَا: «يَا أُمَّ فُلَانٍ، انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ» فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا» (رواه مسلم).

عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه واصفًا النبي ﷺ قال: «.. ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له حاجته» (رواه النسائي).

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «إِنْ كَانَتِ الْأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ» (رواه البخاري).

وصى النبي ﷺ بالمرأة وأقر بحقوقها واستمع لشكواها وتفهم طبيعتها، فما أهمية ذلك؟ وما آثاره الاجتماعية؟

www.withprophet.com

www.withprophet.com

نهيه ﷺ عن إيذاء المرأة

ومن أبرز الدلائل على ذلك أنه ﷺ قال: «لَا تَضْرِبُوا إِمَاءَ اللَّهِ»، فَأَطَافَ بِآلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ طَافَ بِآلِ مُحَمَّدٍ نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ، لَيْسَ أُولَئِكَ بِخِيَارِكُمْ» (رواه أبو داود وابن ماجه).

أمر النبي ﷺ المرأة بطاعة زوجها، وأمر الرجل بالإحسان إلى زوجته، لتُبنَى أسرة سعيدة مطمئنة ومستقرة، بخلاف الأسرة في الحضارات الحديثة، وضح ذلك.

عيادته «زيارته» ﷺ للمرأة في مرضها

وتروي لنا عن ذلك أم العلاء رضي الله عنها فتقول: «عَادَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا مَرِيضَةٌ»، فَقَالَ: «أَبْشِرِي يَا أُمَّ الْعَلَاءِ، فَإِنَّ مَرَضَ الْمُسْلِمِ يُذْهِبُ اللَّهُ بِهِ خَطَايَاهُ، كَمَا تُذْهِبُ النَّارُ خَبَثَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ» (رواه أبو داود).

كيف تقتدي به ﷺ

1. المرأة هي أُمُّك وأختك وزوجتك وابنتك، فعاملها بأدب ورفق وحنو وأحسن إليها، فذلك من هدي النبي ﷺ ووصيته بها.
2. تَفهَّمْ مشاعر المرأة وما طُبِعت عليه من الغيرة، واستمع لشكواها وتحمل ضعفها وطبيعتها، وأحسن إليها مقتديًا في ذلك بالنبي ﷺ.
3. احفظ للمرأة حقوقها في التعليم، وإبداء الرأي، واختيار الزوج ومفارقته، والمِلك، والبيع والشراء، كما كان يفعل النبي ﷺ.
4. أكرمها ولا تضربها فإنها ضعيفة، فلا تتقوى عليها، ومن يفعل ذلك ليسوا هم خيارنا.
5. لا تمنعها الخروج إلى المسجد للصلاة وحضور دروس العلم؛ فقد نهاك النبي ﷺ عن ذلك.

www.withprophet.com